بحث قوانين النبوة

أولاً ـ مقدمة البحث

إذا كنت من المطَّلعين على الكتب السَّماوية المقدمة ، ومن المطلعين على المعتقدات السَّماوية الثلاثة ؛ لاحظت أنَّ مفهوم النبوة يختلف من دينٍ إلى آخر ، حيث لا تتفق الديانات الثلاثة على مفهومٍ واحدٍ للنبوَّة!!

فالنبوة عند اليهود مأخوذة من معنى التنبؤ ؛ أي : الإخبار بالمستقبل ، وعندهم تأخذ كلمة نبي معنى (الرائي)[1] .

ولا يشترط بالرائي أو النبي أن يتنبأ باسم الله فقط ، بل الرائي والنبي يمكن أن يتنبأ باسم إلهٍ وثني[2] .

والنبوَّة يمكن أن تنتقل بالتأثير ، بمعنى أنَّ أحداً يمكن أن يصبح نبياً في حال انضمامه إلى مجموعةٍ من الأنبياء[3] .

ويمكن لله أن يوحي إلى أنبيائه كلاماً مباشراً ، أو بملاكٍ ، أو بالمنام[4] .

والنبوَّة عند اليهود لا تكون إلا في الذكور فقط . والأنبياء عند اليهود يمكن أن يرتكبوا فواحش دون أن يؤثر ذلك على نبوَّتهم ، فجميع أنبياء

---

(١) صموئيل الثاني (٩، ٩).
(٢) ملوك أول (١٨، ١٩).
(٣) صموئيل الثاني (١٠، ٦).
(٤) صموئيل الأول (٣، ١).

اليهود قد ارتكبوا فواحش ما عدا أشعيا ، وحزقيال ، ودانيال . . .

وأمَّا النبوَّة عند المسيحيين ؛ فهي ظهور الملاك جبرائيل ، ونقله رسائل إلى الأنبياء الذين من الممكن أن يكونوا ذكوراً ، أو إناثاً[1] .

ويعترف المسيحيون بأنبياء بني إسرائيل كلِّهم ، لكن المسيح بالنسبة للمسيحيين يتمتَّع بمرتبةٍ أعلى من النبوَّة ؛ فهو على مرتبة ملك صادق ؛ الذي أعطاه إبراهيم العشور ، فهو أي : المسيح كاهن إلى الأبد[2] ؟

ولما كان المسيح كاهناً إلى الأبد حسب رأي بولس ؛ فإنَّ تلاميذ المسيح استحقوا لقب الرسل ، فكلُّ واحدٍ منهم يُوحى إليه من الروح القدس ، لذلك فإنَّ الرسولية والنبوة تأخذ تقريباً معنى واحداً ؛ إذا لم تكن الرسولية أعلى من النبوَّة في نظر المسيحية!! .

أما عند المسلمين فالنبوَّة أعلى مراتب الإيمان التي ينالها البشر ، فالأنبياء ذكور ، وهم معصومون عن الخطأ ، والأنبياء مرسلون من الله الواحد فقط ، والأنبياء كلُّهم إخوة في الإيمان ، والإيمان بمحمد ﷺ يقتضي الإيمان بكافة الأنبياء الذين سبقوه ، ولا يصحُّ إيمان مسلمٍ إلا بالإيمان بكافة الأنبياء الذين ذكرهم الله في نبوَّة محمد ﷺ .

والأنبياء لا يتكلَّمون إلا ما أمرهم الله أن يقولوه ، ولا يفعلون إلا ما أمرهم الله أن يفعلوه ، ولا يعصون الله أبداً ، وهم منزهون لا يخطئون في الوحي ، ولا في الإيمانيات ، وعندما سأل عمر بن عنبسة محمداً ﷺ قال له :

« ما أنت ؟ قال : « نبي » فقلت : وما نبي ؟ قال : « أرسلني الله »

---

(١) لوقا (٢، ٣٦).

(٢) عبرانين (٧، ٣).

فقلت : بأيِّ شيء أرسلك ؟ قال : « أرسلني بصلة الأرحام ، وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء . . . . إلى آخر الحديث »[1] .

وبعد وفاة رسول الله ﷺ انطلق أبو بكر وعمر إلى أم أيمن الأمة الحبشية التي كانت مربية رسول الله ﷺ ؛ التي أعتقها وزوَّجها لزيد بن حارثة ليزوراها كما كان رسول الله ﷺ يزورها ، وعندما وصلا إليها بكت ، فقالا لها :

« . . ما يبكيك ؟ ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ ، فقالت : ما أبكي أن لا أكون أعلم أنَّ ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ ، ولكن أبكي أنَّ الوحي قد انقطع من السماء ، فهيجتهما على البكاء ، فجعلا يبكيان معها »[2] .

ونلاحظ مما سبق أنَّ الأديان الثلاثة تختلف في مفهوم النبوَّة ؛ لدرجة أنَّك لا تستطيع أن توحِّد مفهوم النبوَّة عند الدِّيانات الثلاثة ! !

* * *

(١) صحيح مسلم من الحديث (٢٨٣٢).

(٢) صحيح مسلم من الحديث (٢٤٥٤).

ثانياً ـ الهدف من البحث

بناءً على المقدمة فإنَّ اختلاف أتباع الأديان الثلاثة حول مفهوم النبوَّة يحتم علينا صياغة تعريفٍ للنبوَّة ينال اعتراف الجميع ؛ تدعيماً لموقف أتباع الأديان الثلاثة في مواجهة أخطر عدوٍّ يتهدَّد استمراريَّتها ، ألا وهو فكرة اللادينيَّة .

وعلى الرغم من أنَّ إيجاد مثل هذا التعريف للنبوة يبدو ممكناً للوهلة الأولى إذا ما أردنا حلاً توفيقياً ، إلا أنَّه عند ذلك يفقد قدرته على إقناع عقول المتدينين واللادينيين على حدٍّ سواء ؛ وذلك لافتقاره إلى الأدلة المنطقية اللازمة لذلك ، فمن أجل تعريف النبوَّة يتوجب البحث في النبوَّة بشكلٍ شموليٍّ ، وعميقٍ ، ومنطقيٍّ حتى يؤدِّي الأهداف المرجوَّة منه .

من هنا وجدت نفسي وأنا أبحث في تعريف النبوَّة أمام سؤالٍ عريضٍ جدَّاً ، استوجب عليَّ أن أجد أجوبة لسلسلة من الأسئلة العريضة أيضاً والمتشعبة ؛ التي وجدت نفسي مجبراً على تقديمها إذا ما أردت إيجاد تعريفٍ واحدٍ للنبوَّة مبنيٍّ على أسس عقلانية ، ومنطقيَّةٍ ، وعلميَّةٍ ، ومثبتةٍ تاريخيَّاً .

ومن هنا استوجب أن يكون البحث عن تعريف للنبوَّة بحثاً علميَّاً بكلِّ معنى الكلمة ؛ بحيث يراعى فيه الأسس المتبعة كافة عند إجراء أيِّ بحثٍ علميٍّ آخر .

وأول هذه الأسس هو تحديد الهدف من البحث ، ورغم أنَّ الهدف من

البحث هو تحديد تعريفٍ للنبوَّة ، إلا أن اتساع هذا الموضوع جعل للبحث أهدافاً أخرى يجب الخوض فيها أولاً للتوصل إلى ذلك التعريف الصعب ، وهي :

١ـ هل للنبوة قوانين ، أم أنَّها ظاهرة تتحكَّم فيها المصادفة ؟

٢ـ هل الأنبياء متساوون في درجة نبوَّتهم ، أم أنَّهم يختلفون في درجاتهم ؟

٣ـ هل يمكن أن يكون المسيح إلهاً ؟

٤ـ في أيِّ تصنيفٍ يمكن أن نضع محمداً ﷺ ؟

استغرق منِّي البحث عن الإجابة لهذه الأسئلة ثماني سنوات من البحث في المصادر اليهودية ، والمسيحية ، والإسلاميَّة .

وكانت النتيجة باختصارٍ شديدٍ :

١ـ النبوة تخضع لقوانين وأسس منضبطة .

٢ـ الأنبياء لا يتمتعون بقوة نبوة متساويةٍ ، فلكلٍّ واحدٍ منهم قوة نبوةٍ خاصة .

٣ـ المسيح ليس إلهاً ، بل هو نبيٌّ قويٌّ .

٤ـ محمد ﷺ نبيٌّ قويٌّ بالمقاييس كافة .

* * *

ثالثاً ـ الأسس المتَّبعة في البحث

سنعتمد في بحثنا على الأسس التالية :

١ـ دراسة تفاصيل حياة أنبياء التشريع الثلاثة فقط ؛ لأنَّ هؤلاء الأنبياء الثلاثة أصحاب ثلاثة أديان أساسية ، كما أنَّ المعلومات المتوافرة عن هؤلاء الأنبياء تفوق بكثيرٍ المعلومات المتوافرة عن باقي الأنبياء .

٢ـ إنَّ الكشف عن المواصفات والخصائص المشتركة لدى الأنبياء الثلاثة ؛ تؤدِّي إلى كشف تفاصيل حياة الأنبياء الآخرين .

٣ـ سنعتمد التوراة الحالية مصدراً أساسياً لمعرفة تفاصيل حياة موسى عليه السلام ، وسنعتمد الأناجيل الحالية مصدراً أساسياً لمعرفة تفاصيل حياة المسيح عليه السلام ، وسنعتمد القرآن والسنن الصحيحة لمعرفة تفاصيل حياة محمد ﷺ .

٤ـ الصفات التي تتفق عند الأنبياء الثلاثة تعتبر صفات نبوة عامَّة ؛ بينما الصفات التي تتَّفق عند نبيين فقط دون الثالث تعتبر صفات نبوَّةٍ خاصَّة ، في حين أن صفات النبوَّة الموجودة عند نبيٍّ واحدٍ فقط من الأنبياء الثلاثة تعتبر صفات نبوة فرديَّةٍ .

* * *

رابعاً ـ مصطلحات البحث

أينما وجدت التعابير التالية فإنَّها تعني ما يلي :

١ـ **القرآن الكريم** : هو الكتاب المقدَّس عند المسلمين الذي يحوي الوحي القرآني فقط .

٢ـ **التوراة** : كتاب اليهود المقدَّس ، وهو مؤلف من خمسة أسفار ، هي : التكوين ـ الخروج ـ العدد ـ اللاوين ـ التثنية .

٣ـ **العهد القديم** : هو كتاب اليهود المقدس . وهو مؤلف من (٣٩) سفراً ، (٣٤) سفراً بالإضافة إلى التوراة .

٤ـ **الأناجيل** : هي أربعة أناجيل ، وهي : متَّى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا .

٥ـ **العهد الجديد** : هو كتاب مؤلف من (٢٧) سفراً ، أربعة أناجيل ، وكتاب أعمال الرسل ، بالإضافة إلى (٢١) رسالة ، ورؤيا يوحنا الوحيدة .

٦ـ **الكتاب المقدَّس** : هو العهد الجديد بالإضافة إلى العهد القديم ، وهو كتاب المسيحيين المقدَّس بكامله .

٧ـ **السُّنة** : مجموعة أقوال ، وأفعال ، وتعاليم محمد ﷺ يرويها شهودٌ عيانٌ ، كثيرو العدد .

٨ـ **نبوَّة محمد ﷺ** : المقصود بها كل ما جاءت به نبوَّة محمد ﷺ من قرآن ، أو أفعالٍ ، أو أقوالٍ ، أو تعاليم محمد ﷺ منفردة ، أو مجتمعة .

خامساً ـ مخطط البحث

الباب الأول :

مواصفات الأنبياء قبل النبوَّة ، وهي نوعان :

المواصفات العامَّة :

١ـ ذكورة الأنبياء .

٢ـ سلامة عقول الأنبياء .

٣ـ سلامة حواس الأنبياء .

٤ـ سلامة أعضاء الأنبياء .

٥ـ ملاحة وجوه الأنبياء .

٦ـ اكتمال الشكل العام للأنبياء .

٧ـ سمو أخلاق الأنبياء قبل النبوة .

٨ـ سلامة وطهارة نسب الأنبياء .

٩ـ عدم ميل الأنبياء إلى الشرك ، وابتعادهم عنه قبل نبوتهم .

١٠ـ جهل الأنبياء بالمعارف البارزة في عصورهم قبل نبوتهم .

١١ـ مقدرة عقول الأنبياء على استقبال خبر نبوتهم .

١٢ـ حفظ الله لأنبيائه من الهلاك قبل ظهور نبوتهم .

١٣ـ كسب الأنبياء لمعيشتهم من تعب أيديهم قبل النبوَّة .

المواصفات الفردية :

١ـ عدم مقدرة محمد ﷺ على أداء أفعال لا تليق بالنبوّة الموعودة .

الباب الثاني :

مواصفات الأنبياء بعد النبوّة وهي نوعان :

المواصفات العامَّة :

١ـ الدعوة إلى عبادة الله الواحد .

٢ـ الالتزام بالدعوة والخوف من غضب الله .

٣ـ عدم استهداف منافع مادية أو معنوية من النبوة .

٤ـ سمو أخلاق الأنبياء فوق سموها تدلُّ على نبوتهم .

٥ـ لا يورث الأنبياء إلا آثار نبوّتهم .

٦ـ الصبر على الأذى والإصرار على متابعة الدَّعوة دليلٌ على النبوة .

٧ـ البركة دليل على النبوة .

٨ـ أسماء الأنبياء دليل على نبوّتهم .

٩ـ القدرة على مالا يقدر عليه غيرهم من البشر يدلُّ على نبوتهم .

١٠ـ الاحتفاظ بسلامة وحيوية الأعضاء والشباب حتى النهاية دليل على نبوتهم .

١١ـ العصمة من القتل بعد النبوّة .

المواصفات الفردية :

١ـ عروبة محمد ﷺ تدلُّ على نبوته .

٢ـ العلامة على كتف محمد ﷺ دليل على نبوته .

٣ـ إنشاء مملكة الله على الأرض دليل على نبوة محمد ﷺ .

٤ـ الفصاحة اللغوية دليل على نبوة محمد ﷺ .

٥ـ قاعدة نبي القرون الستّة دليل على نبوة محمد ﷺ .

الباب الثالث :

أدلة الوحي التي تثبت أنَّ الأنبياء يتلقَّون رسائل من الله

أدلة الوحي العامة :

١ـ مظاهر الوحي الشكلية .

٢ـ معرفة ما تختلج به صدور الناس .

٣ـ معرفة ما يدور بين أتباع النبيِّ سراً .

٤ـ معرفة ما يدور بين أعداء النبوة .

٥ـ الإجابة على الأسئلة المحرجة .

٦ـ الإخبار عن ملكوت الله .

٧ـ الإخبار عن الماضي البعيد .

٨ـ الإخبار عن المستقبل البعيد .

٩ـ الإخبار عن مصائر أتباعه .

١٠ـ الإخبار عن مصائر أعدائه .

١١ـ استجابة أدعية الأنبياء .

١٢ـ اعتراف كل نبي بمن سبقه من الأنبياء .

١٣ـ تلازم النبوة مع قول الحكمة .

١٤ـ إعلان كل نبيٍّ لتشريع يتبعه ، ويطبقه ، ويلتزم به .

١٥ـ معرفة كل نبي للحظة التي سيموت فيها .

١٦ـ عدم خوف الأنبياء من الملوك .

١٧ـ التأييد بكتابٍ سماوي .

١٨ـ المعجزات الحسيَّة .

١٩ـ تبشير كلِّ نبيٍّ بمن سيليه من الأنبياء .

٢٠ـ التحذير من يوم القيامة .

٢١ـ التحذير من المسيح الدَّجال .

أدلة الوحي الخاصة :

١ـ حصول النبي على مخطط نبوَّته .

٢ـ نقل أحاديث قدسية عن الله عزَّ وجل .

٣ـ نقل رسائل من الله إلى أشخاص مؤمنين محدَّدين .

٤ـ تعديل وحيٍ سابقٍ بوحيٍ لاحقٍ .

أدلة الوحي الفردية :

١ـ الرؤى وتحققها للنبي .

٢ـ مقدرة النبي على تفسير الرؤى للغير .

٣ـ اجتماع الموسوعية والأميَّة .

٤ـ التحدُّث عن مصائر الأنبياء .

٥ـ فض إشكاليات روايات الكتب السابقة .

٦ـ الوحي إلى البشرية .

٧ـ القرآن الكريم .

الباب الرابع :

يتضمن نتائج البحث التالية :

النتيجة الأولى : قوانين النبوة .

النتيجة الثانية : قانون قوّة النبوّة .

النتيجة الثالثة : النبوة مرتبةٌ عظيمة ـ تعريفها .

النتيجة الرابعة : المسيح نبي ، وليس إلهاً .

النتيجة الخامسة : محمد ﷺ لا يمكن إلا أن يكون نبياً ، فهو ليس مصلحاً اجتماعياً ، ولا سياسياً ، ولا دينياً ، ولا هو بفيلسوف .

المراجع

فهرس الموضوعات

* * *